اللوحة الرابعة بعيداً عن مكة عندما يريد الله بقوم خسراً تضلّ بهم عن مواقعها الأقدام، تشتبه عليهم الأُمور، تختلّ في مداركهم معايير التقدير، يرون الصواب في الخطأ، ويرون الخطأ في الصواب. كذلك فعل بقريش، والمسلمون ينزحون عنها إلى «يثرب» فُرادى وجماعات، وقد أذن لهم ربّهم في الخروج; احتساباً له سبحانه ومرضاةً، وما خرجوا جميعهم خفيةً، ولا من وراء الظهور. فلربّما انطلق بعضهم على الطريق، مشرّقاً بشمال، إلى مهاجرهم بمدينة العزّة والنصر التي تتصوّب إليها عيون الماء، وتحفّ بها خضرة الزروع، وينتظرهم الردء والأمن والمتاع، فلا يكاد رجل واحد من أساطين الشرك يتقدّم ليحول بينهم وبين الانطلاق. أفلا يسُرّ الشرذمة الضالّة أن ينزح خصومها هؤلاء بعيداً عنها، ومعهم صبوءهم، فيتّقي قومها الوقوع في فتنة دعوتهم السحرية التي شتّتت جماعتها، وحطّمت وحدتها، وفرّقت بين الزوج وزوجه، والولد وأُمه، والأخ وأخيه، والابن وأبيه، ثم مرغت في الوحل دين الأسلاف؟ ولربّما علمت بمخرج بعض آخر، فخفّ أُناس منها إليهم، يقتلعونهم عنوةً من